الحلل السندسية

في شأن وهران والجزيرة الاندلسية

للشيخ محمد ابي راس الناصري

مع ترجمتها الفرنسوية وتعليقها

للجنرال فور بيقي

طبع بمطبعة بيير فونطانا في الجزائر
١٣٢٠
سنة
١٩٠٢

الحلل السندسية

في شان وهران والجزيرة الاندلسية

للشيخ محمد ابي راس الناصري

مع ترجمتها الفرنسوية وتعليقها

للجنرال بوربيقي

طبع بمطبعة بيير فونطانا في الجزائر
١٣٢٠
سنة
١٩٠٣

الحلل السندسية

في شان وهران والجزيرة الاندلسية

١ طيب الرياح جميع ارض الله جسى

وبشرى البكم مع الجن والانس

٢ المشرق الاقصى مع اقصى مغربنا

والجنوب والصنذ والاشجار والاودس

٣ طوامى الابحر واهل جزائرها

بفتح وهران دار الشرك والرجس

٤ وحدثهم بويلات لنا سلفت

فطال ما رمت الاسلام بالتعس

٥ بـــرد رتبـــا الكرّة عليهـــا لنـــا
قضينا دينا منها قد كان في تنـــس

٦ بجهبـــذ شمـــر للحـــرب مبزارا
بحلل النصـــر ومرتـــدى بالرجـــس

٧ بكت من جانب طـرق عواقبهـــا
لم يستشـــر الا السيف وقنا الدعـــس

٨ هـــو محمـــد الباي لا رانجـــد مـــن
ملا على مفـــرق الجـــوزآ واكنـــس

٩ لم يثنـــى عن رجآ غيـــر مبتســـم
حتـــى يزاولـــه بالسيف والعـــرس

١٠ قاد المقـــانـــب للجهاد رايـــدهـــا
يبغى كفـــاح ذوى التثليث والنفـــس

١١ جنـــد عرمـــرم لا شـــيء يقـــوم لـــه
يضيق عنه جـــا للافـــلاك والمـــبـــس

Vers 6. — Les copistes écrivent مستنزرا qui est préférable pour le mètre ; mais Bou-Ras confirme dans le commentaire B l'orthographe de ميزارا qui est un substantif.

١٢ حتى انام على ارباض وهران لا
تحصى عساكره بالعد والحدس

١٣ من كل قرم الى لحم العدا قرم
ليس بذى جرق منهم ولا بنس

١٤ بالصقر لم يغن بالخرب الصيد له
ولا يقاس طويل الباع بالاحبس

١٥ ملا منيا له التمكين ساحتها
سلاهبا تعدو في الارض كالوعس

١٦ وقام فيها بامر الله منتصرا
كالصارم اهتز او كالجود منبجس

١٧ بنتها مغراوة باذن مواليهم
الامويين امرا الاندلس

١٨ ثالث قرن خزر منهم قد اسسها
وملكهم في غاية العز والشمس

Vers 14. — Le mot خرب a reçu un djezm à cause de de la mesure du vers. Comm. B. — الاحبس synonyme de قصير Comm. B et C.

١٩ ستة ست من رابع ازاحهم
من ذلك الثغر ازداجة مع عجس

٢٠ ثم ازالهم ايضا يوسف وعلي
كما ازالهم فضل عن ارض فاس

٢١ موحدون اتوا من بعد ذا وعلوا
استحوذوا عليها في وسط السادس

٢٢ كانت من احسن مُقْفل عمالتهم
وامتنعت عن اخرهم ابي دبس

٢٣ ثمت ال زيان سلك ملكهم
قد دخلت واشتد لهم الى دلس

٢٤ في وقتهم كان قطبها وعالمها
مُحمد ذو المقدار القدم الحجس

٢٥ خلفه من بعد موته بامية
ابراهيم الذي كان يسمو برجس

Vers 23. — On écrit quelquefois ثُمَّتْ au lieu de ثُمَّ mais Bou-Ras a écrit ثُـمَّـتْ pour faire trois syllabes. Comm. C.

٢٦ واتت له لما جيء اهل مشرقنا
بل اقصى ذاك كامل طوس مع قوس

٢٧ جلب ماء اليه في منبعة
لذلك الثغر بابدع مقتبس

٢٨ ثامن قرن قد امرها المريني ابو
حسن تمت بيعة طرابلس

٢٩ بنا بها الاحمر بياق كل بناء
ثم بنا الثاني حذو سفن المرس

٣٠ خامس عشر من عاشر انام بها
الاشبانيون اهل الشرك والرجس

٣١ حبايل الكبير قد حموا جوانبها
وعسن دباغهم عجز ابو فلس

٣٢ وعاث ذو بطحتها مجتنبا
على الايمان فلم يبل بمفترس

٣٣ ودرج ارجلها لما احاط بها
فابدلت ثم اعلاها بالعطس

٢٤ وشحنت بخنزيرهم وصلبانهم

مواضع كلايمان بها ذو تروس

٢٥ كم تليت بها من اية محكمة

فبعد طهرها قد مليست بالنجس

٢٦ كانها ما حوت شمسا ولا قمرا

لم يدر بي الناس والعال بي الندس

نظير ما بعل نجل بملطية

عقب بالذل والصغار والوكس

٢٧ خلا له الجو وامتدت يداه الى

ادراك ما لم تنل رجلاه مختلس

٢٨ عمرها بعدنا بخبث دالثه

شناطيط كالبعابرة والقيس

٢٩ وسار سيرته بينا من اعقبه

وكلهم مقتفي ارسون واجرانس

٣٠ بي اخذهم سردانية ودانية

بلرم مازرة جنزو جاليا تنس

Vers 40. — Bou Ras écrit toujours جـلـهم ; voir la note de la traduction.

٤١ فطان كرطجان ثم بلنسية
مرية معتصم بهما وبطليس

٤٢ لوشة بلشة ورند لها بسطة
وشنترين اشترى منها بالبخس

يابسة يبست وادمعها شقنت
بالذهب الكعر ما بها من ملبس

٤٣ مرقنا من يابسة مع ميورقة
يا ليتنا بعد ذات لها من قابس

بجاية ووادي الحجار قد هجرا
عن الغسانية والتي كانت امس

٤٤ طريفة دمير الردى تملكها
فلم تدم لابن افطس ولا افطس

٤٥ اما على حمص الحسنا وقرطبة
صارت بها امرجة الفصل في طمس

Vers 41. — فطان pour فطلان Comm. B.

Vers 43. — Il semblerait tout naturel d'employer ci-dessus le verbe جرقنا qui donne un sens très naturel. Mais Bou-Ras a employé مرقنا *nous nous écartâmes comme une flèche qui manque le but* ; il l'explique dans son Commentaire. C'est évidemment pour jouer sur le radical مرق qui se trouve dans ميورقة

كان لم يصرخ قاسم في رصعتها
زاد اكتئاب اليها رصعا في الخمس

٤٦ باش فرش أبدْ ثم طرطوشة
اشبونَ اجراغ وفرمونَ مع فادس
شدونة مدرور بطشانية
بلكونة قرطش ميرن الدين في خنس

٤٧ الكصرآ راكمرآ وفورة عقبانية
وجبل الفتح قد صار للانجلس

٤٨ وواد آش ونهر لوك قد سُبيا
فتلا وسبيا وششتر واندريس
طغارش بطرزج يا بئس ما جعلا
ككورة اشكونية وبجانس

٤٩ قد جزّ ابن مالك من جيانته
كذا على وجر تحوى الكمس

٥٠ وابن ملك بني عباد يا اسفى
كانوا يظنون ان ليس بمندرس

وأين لحجل زيدون ومصيصهم

وأين نجل عمار كابن نواس

٥١ من بعد غلبنا بارك وزلاقة

وغير موطن مرنا بعد في التعس

٥٢ مذ غاب يوسف ويعقوب اجترت

عنا زعيمي جليفة واكيس

رميمة وبرطانية ثم البيجة

بعصب برشترة بلغمد ارملس

٥٣ لترجالة وجلمانية انبسطت

يد جليفة بعد القبض من خبس

٥٤ من لي بغزوة تجلي الكرب يا اسفي

كغزوة النصري الناصر المريني او حبس

صلاح اصلح الدين من قذاقته

ونوره شجوجي حلق ابرنس

٥٥ ما لبست ملوكنا كصيص رحلتهم

واكلونا كاكل الداجن العلس

٥٦ واعرضوا عن جهاد الكفر باطنة

حتى ارتمت مصرنا العظمى برمس

٥٧ يا ليت جند كجند العابدي لنا

لا يحصى من ذا بعد وثبة العدس

بيا لابسرار نجار وجيرونا

ورولة وارجون مع باجة اندلس

٥٨ كانت جزيرة لاندلس طيبة

عادت بغدر العوالي اقبح الضبس

٥٩ وركدت ريح النصر في مواطنها

لما جرى بين املاكها من شخس

٦٠ عدة احقاب وهم بني منافسة

لذا تعدى ملوك الصفر اندلس

٦١ بموت نجل ابي زيد واضرابه

وبتدي ناصر اجتسوا كالشبس

٦٢ يا حسرة لمعالم الايمان بها

صارت مدنه كسنة الكبس

٦٣ اخذ منا رندة مالَطة
زعانيب الوثن ذو والقبح والجس

٦٤ زاهرة والزهرآ سرد سرقسطة
فسطلة و رباح آل للبخس

٦٥ ودمر البنمل تدمر ومرسية
دافت مذاق ذي الآلام من اهل البرس

مجونة شجوها شجي الايمان بها
فلالشي اقليش وشقة والبيرفي الركس

٦٦ طليطلة هي باكورة تجعهم
من الهواى رجعت لادبنس

٦٧ اخر ذلك غرناطة حل بها
ما لاقت شفرة من الويل والركس

Vers 63. — Le Com. C indique la prononciation مالَطة nécessaire pour le mètre. Néanmoins cet hémistiche est incomplet. Il l'est également dans B où on lit : اخذوا رندة لبّلى ومالَطة. Il faudrait probablement combiner les deux et lire :

اخذ منا رندة لبّلى ومالَطة

٦٨ مــن بعد عـز بنــي نصــر ومرافهــا
طافيــة ينظــرهــم نـظـر الشــــوس

بــلا ئبــلاي بــلا تغـشى اليه بــلا
اربـول بلبونة وفصــره بي البلـسي

٦٩ يا شــرمــا جنــت بقعــة العشــاب
بهــا ســامت خواضــب قطر اندلــس

٧٠ طريـبـة اطــرقتهم بمــا اوحــنــا
بــد الجزيـرة صارت منــا فى ابـس

٧١ كانمــا مــا تقضــت بسهيــلٍ لنــا
وسهلــة بالــمــام شهــى اللعـــس

كانمـا مـا تقضــت بالعذيب لنــا
بمعسول اللمــا راق شهى اللعــس

٧٢ ولا قضينا على اكنــاف شاطبــة
بوصــل سلمــى زمنــا غيــر منعبــس

ولا قضيـنــا مــلى اطــراف كاظمــة
بوصل سلمى زمنــا غيــر منعبــس

٧٣ ولا سجعنا على واد شريش دما
من منحر الدين اذ يجي ويرتمس
ولا سجعنا على واد بن الخير دما
من منحر الدين اذ يحيي ويرتمس
١٤ ولا شادت غير بنادي دشتالة
كان في اجفانها سنة النعس
١٥ اجبل بيننا وبين جزيرتنا
وسدت ابواب غزوها لملتمس
١٦ ولا عدت جياد بعكس بلبيننا
واندرشنا من التوحيد مندرس
ولم نعبّر نواد بفرفشون لنا
تدير قلمانها عليهم بالكوس
ولم يدرس مسر بشابونتنا
بالنعو صار بها في غاية الدرس
تغربت ما ذكر لنا قشتالة
وشالبسب وسمورة ذوو الومس
٧٧ كانها لم تكن طوعى بقبضتنا
ورجبنا قد قلاتيرة واندرس

برشانة جعلها عن منع بركشنا
وهاهم جتيان جتيانه في الدغس

٧٩ هاهم الى الآن بسبتة بعدوننا
ومليلة ونكور مع بادس

٧٩ وما سوى ذلك مما اخذوه لنا
كادر وما حوله من المرس

٨٠ محمد وابنه رزاه فاطمة
وطهرت بهم منهم ارض سوس

٨١ وبسفيان احوزى بالمخاوى لقد
من ابى مروان ابتلى بالتعس

٨٢ عرائش وطنجة ثم مهدية
برنجسة اخذتنا من اذابرفس

٨٣ بحرب اسماعيل ثم جرها جابده
وكسبت جسبتة اضواء الشمس

٨٤ رفيت الله الاتراكى بمزغنة
خرب وهران دار الشوك والاس

قواها الباشا ابن خير الدين اولهم

وبرج مرساها قد رماه بالتجسس

٨٥ اتاها باشا ابراهيم وسط حماد

من القرون من بعد الف للوطس

٨٦ قام بالمائدة حيث يزاولها

ثم فهي درجة من فتحها ايس

٨٧ اخره شعبان الزناكي حاصرها

فامتنعت وشمست ايما شمس

٨٨ اوطى العليق الكرار لارضها

به همت دموعهم ومن زكّي وخس

٨٩ دارت حروب عظام بينهم قد انسى

اخر امرها باستشهادة النفس

٩٠ وبعد الف ومائة في تقطيب

جهز اسماعيل لها اقاصي سوس

Vers 88. — اوطى dans les deux manuscrits C et B, mais la mesure du vers exigerait أَوْطَأ .

٩١ واهـل تمسنـي الى اهـل طويـــة
ووجـدة ومعقـل وبـنـي يـزنـس

٩٢ فحـط كلكلـه حولهـا معتزمـــا
على الغزال ولـم يجـد محل بـــس

٩٣ فـام بهيدو رايـامـا يحتـال لهـا
قد استعـان بمـا حولهـا من محـس

٩٤ اعيتـه حيلتـهـا حـزمـا ومنعتـهـا
عقـاب جو قد ارتقى عـن الحـرس

٩٥ يقال هـذه ابعي تحـت صخرتـهـا
تصر لا الصر يانـي لها مـن انــس

٩٦ قد حلفت بجروس مـن غير غافلـة
بل يسمعون حسيس كالذي كالخنس

٩٧ لمـا اراد الله عـزّد كالا يسمـان لـهـا
اقـام بالجزائـر مذهـب الـدمـــس

٩٨ محـمد باكداش اصحـى باشتنـا
قد باى كالاكفابى الدهـا والدعـــس

٩٩ جهزاجعنا بالاتراك مشحنة

في شرفها نزلوا في برها اليبس

١٠٠ مدافعا ومرادات اتانا بها

اضحى لذلك حزب الكفر منتكس

١٠١ بكل حيس أزن حسن براولها

و دانق مصطفي ذو الباس والفرس

١٠٢ بفتحت عنوة في تسع عاشرة

من بعد سكني رة والدين في وكس

١٠٣ عاقبة الغدر للبوار قد قررت

سنة ربنا قد سنها في جدس

١٠٤ اضحت مرتع امن للانام وقد

كانت بها طيبان الانس في دنس

١٠٥ قدمه بعد عشر استقل بها

بغاية حددت كالعدو للعرس

١٠٦ حكم كلاه كما قد ترى قدره

لو شآ ما ملكوها عشر النفس

١٠٧ من بعد عشر وعشر ثم اربعة

عادوا اليها فرة عين التعس

١٠٨ فملكوها بلا كبير ملحمة

لاكن فى الاولى بخدعة منخبس

١٠٩ فمرة اباتوها غير غالية

كيف يباع ثغر وهران بالبخس

١١٠ اتوها طوريس افتقدوها عامرة

وعد عليها اليهم غير منخنس

١١١ خلا لها الجو صرفا واطمانوا بها

وقد تجلت للكبر جلوة العرس

١١٢ يا له من ثغر اضحى اهله جزرا

للنايبات واجد منه فى التعس

١١٣ مدينة العلم والايمان حل بها

ما حل بالحسن من اخنس واخبس

١١٤ من كل شارفة للامام بارقة

ماقيها شاد للاعداء كالعرس

١١٥ تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم
غرعقايلها المحجوبة النعس

١١٦ كانت حدائق للاحداق مونقة
فصوح النضر في الادواح بالنحس

١١٧ من محاسنها طفي اليم لها
اكتحل بالسهر لها مكتفر الكسوس

١١٨ ما سهي عن عصمها حينا فد حربها
ولا تكسر في التواني والنعس

١١٩ صارت تدور لنا طورا واعدائنا
وكلما وعدتنا فهو في ركس

١٢٠ حتى تداركها الله برافته
من بعد ما مضى لها مدة العنس

١٢١ بتقليد المغرب الوسط لعمدتنا
اضاء شمسه بعد حالك الغلس

١٢٢ ملك تقلدت للاملاك سيرته
دينا ودنيا تراه محسن الس

٢٣) مؤيد لو رمى نجمـــا لاثبتـــه
ولو دمى دبلا لبى ومــــا احتبــــس

٢٤) شهم همام بحـــزم الملك متــــزر
ومرتد النصر وفى الحلم ذو طخـــس

٢٥) بملك آل منديل تحت سـلطانه
قد كان مذ من واجر الى تنـــس

٢٦) كذاك ملـك تجين فى ايالته
كذا الجـدار القديم المتقن الاسس

٢٧) ملك لال يغمـور فيـه نصرتهـــم
كذا ملك بنى يعالى الابربنى الروس

٢٨) لشعب ومصاب مدت طاعتـــهم
على مصابات شتى من ابى صـوس

٢٩) بمهـد الكل برخـــص وعافيـة
قد امنوا كلهم عواقـــب الفلـس

٣٠) محمد بن عثمـــان نجم سـعدهـــم
رصد من كلب يصمى ومن سجـس

١٢١ مدة ســت وسبــع من امارتــه
حل بساحل وهران الويل في التعس

١٢٢ عمر كل موصد كان مسلكهم
بالخيل والرجل مع حلق العســس

١٢٣ طلبة اتخذوا فيهم وحاتــوا بلا
تفسهم بخيــس فيــس ولا يبهــس

١٢٤ احيوا مراسم عبث من شيوخهم
احمــد ومحمــد او ابن يونــس

١٢٥ سنة خمس اتى لها بكلكله
جند عظيم ما بين الشهم والحسوس

١٢٦ طبّانات وعرادات احاط بها
كانها يبنسم كحلقة الجلــس

١٢٧ تكاد تصدع الشامخات مدافعه
رعد سحاب صديم الصفق والجرس

١٢٨ يفني البنا وما تبني له حرب
كانه من صروف الدهر لم يقــس

١٣٩ يشيب من حربه راس الغراب ولا
يشيب راس نهار دائم الغلس

١٤٠ يسود بيض وجهه من جساه ولا
يبيّض مسوّده من شد الدمس

١٤١ بنجم خيله ودخان بارده
يوم حليمة او كرج لارمائس

١٤٢ تحار بطريقها من باسه جرفا
وقلبه مملو بالرعب والوجس

اخبارها قد طارت فى الارض قاطبة
لاقينا فى امدوجات من ورا قابس

اوبة حجنا فقدنا منشا لنا
وصلنا حى الجمع بالجهاد النفس

١٤٣ عدة اشهر الكرب يباجلنه
طالع سعد له عليهم بالنحس

١٤٤ فطلبوا السلم من بعد مراوضة
فاعطوا الامان على الامتع والنفس

١٤٥ فكانت مدنهم في منة كمج
جرى بذلك القلم قدما في الطرس

١٤٦ هم يخربون بيوتهم بايديهم
فاعتبروا يا ذوي الابصار والنفس

١٤٧ بنو الطير في الكثر سبقوهم بذا
فكيف بالروم يفعل اليهود تس

١٤٨ احقب سعيهم الخسران واتبعوا
في ذاك ما مضى بجربة او تونس

١٤٩ نصرى وهران تركوها غامرة
فالحمد لله امنا من الهجس

١٥٠ بابي عثمان وعثمان قد رجعا
الينا ما يسلي عن ارض اندلس

١٥١ رماهم الله بالملك اميرنا
رمية سهم اتهم على غير فس

١٥٢ اقام احوالا للاعدآ منوعة
بالمكر والكيد والانقاص والدس

١٥٣ طهر الثغر منهم اعظم نجس
وذو خباثث مع الغحش والكبس

١٥٤ فصار بالتوحيد تعلوا اباطحه
على الربا الغفية من الكيس

١٥٥ بذي السعادات الذي لا يقاس به
وذي الدها الجم يغنيك من اللبس

١٥٦ بماضي الحزم والاقدام متخزرا
ان عالج الداء كان غير منتكس

١٥٧ محى الذي كتب التجسيم من ظلم
واثبت التوحيد ودام كالكبس

١٥٨ لم يغن عنه مرجاجه واصرابه
ولا الجيوش ذوي اليلب والترس

١٥٩ اسس على الربع للتمييز منتصبا
عن خبص عاملها حالا من ملتبس

١٦٠ لا غَرْوَ ان نال مجدا ليس يدركه
سواه اذ عرقه في المجد منغمس

١٦١ ان الامارة كانت ولايته في
اسلافه عرقها مخضر لم ييبس

١٦٢ ثم في تصرف ما اوليته ابدا
وارض سعدك بين الخصب والدهس

١٦٣ فرج من هو ذو نكس وذو الفس
فانبعث الكل للسداد والعدس

١٦٤ مدينة حلها التوحيد مبتسما
جذلان وارتحل التثليث في باس

١٦٥ من بعد ما صيرها العانون بها
يستوحش الطرف ما انس من انس

١٦٦ شيدت مساجدنا وضمت بها
اذاننا الحق قد بطش بالجرس

١٦٧ ابدلها الله بعرى اسقافها
مدارسا ما لها للعلم من درس

١٦٨ وغير الاسلام العالي معالمها
واذهب اللين من ذلك كالشرس

١٦٩ ما هي قد غصت وطابت جوانبها

وثوب وشيها قد صبغ بالورس

١٧٠ حبائل الشرك لا تخفى غوائلها

قد قبر الكفر في اعماق الرمس

١٧١ وقد سقاها اله العالمين حيا

منار للاسلام ضاء بها كالقبس

١٧٢ قامت بيرد المولى من بعد نكبتها

ما بها من صم يسرى ولا خرس

١٧٣ زهت باميرنا محمد وغدت

تميل اعطافها من شدة البهس

١٧٤ يبدي النهار به من ضوئه شنبا

كهالة البدر ان ركب في الخمس

١٧٥ اعلامه كعقبان الجو حائمة

يحف من حولها شهب القنا حرس

١٧٦ ما زال حظه للاقبال منتبها

ككوكب سعده ضاء غير منطمس

١٧٧ حيث المنا كان طوعه وتابعه
سعد السعود براجه كالطرس

١٧٨ في خامس العرد اضحى يوم اثنينه
كان الدخول بعون المالك القدس

١٧٩ سنة ست ثم الحمد لخالقنا
ما زكي الصلاة على النقي من الرجس

١٨٠ باناه ابريز ختم من رحيب
جبرايل اطيه من نهر الفردس

١٨١ وصحبه الذين احد لو كان لنسا
لم يجب بالمد لهم بل ولا الخمس

ALGER. - 1909

LES

VÊTEMENTS DE SOIE FINE

Au sujet d'Oran

et de la Péninsule espagnole

Les Vêtements de Soie fine

AU SUJET D'ORAN

ET DE LA PÉNINSULE ESPAGNOLE

POÉSIE

du Cheikh Mohammed ABOU-RAS En-NASRI

TRADUCTION

PAR

Le Général G. FAURE-BIGUET

ALGER
IMPRIMERIE ORIENTALE P. FONTANA, RUE D'ORLÉANS, 29.
1903

INTRODUCTION

Le Cheikh Mohammed Abou-Ras en-Nasri, de Mascara, a laissé une autobiographie dont j'ai traduit et publié les parties essentielles dans la *Revue Asiatique de 1900*. On y trouve la liste de ses ouvrages, parmi lesquels figurent les Commentaires de sa Cacida sur la prise d'Oran. Le titre de ce poème se présente avec les variantes suivantes :

الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية

الحلل السندسية فيما جرى بالعدوة الأندلسية

Les manteaux de soie fine, au sujet d'Oran et de la Péninsule Espagnole.

Un texte de cette cacida se trouve dans le Commentaire traduit et publié par M. Arnaud. Celui que je donne ici est emprunté à un autre Commentaire; il

diffère très sensiblement du précédent; il présente de l'intérêt parce qu'il peut être considéré comme la dernière édition de son œuvre donnée par le poète. Pour comprendre sa genèse, quelques explications sur les divers textes du poème et sur ses commentaires seront utiles.

Il existe, à ma connaissance, trois Commentaires que je désignerai par les lettres A, B, C. Le texte que je donne ici est extrait du troisième Commentaire C.

A — La traduction de ce Commentaire a été publiée par M. Arnaud. Je ne connais pas le texte qui lui a servi. On en trouve une variante à la Bibliothèque Nationale, sous le n° 4618. Le titre est : عجائب الاسفار ولطائف الاخبار *Voyages extraordinaires et nouvelles agréables*. Il y a sans doute une fin de titre qui n'a pas été donnée.

La Cacida contient 118 vers. M. Arnaud n'en donne que 117; mais il est facile de voir qu'il en manque un après le quarantième vers. Le voici tel que je l'ai trouvé dans une copie du poème appartenant à M. Guin :

اول العام من القرن ثاني عشر
جمع اسماعيل لها اقاصي السوس

Dans les premières années du XII^e siècle, Ismaïl réunit contre elle les forces des parties du Sous les plus éloignées.

Ce vers est indispensable : c'est le seul où l'on trouve le nom du Sultan Ismaïl, qui donne lieu cependant à six pages de commentaire (p. 119 à 124). Le premier

hémistiche est obscur ou incorrect ; on en verra plus loin l'explication.

Le Commentaire a été écrit du vivant du bey Mohammed, qui mourut en 1796. Cela résulte de plusieurs passages ; dans l'un d'eux notamment, page 100, le poète souhaite au Bey une vie opulente. Il a donc été écrit plusieurs années avant le voyage de Bou-Ras au Maroc, qui eut lieu en 1801 et 1802.

B — Le manuscrit existe à la Bibliothèque Nationale, sous le n° 4619. Il y a quelques années, quelqu'un qui connaissait l'écriture du Cheikh, m'a assuré qu'il était de sa main. Je n'ai pu savoir comment il était arrivé à la Bibliothèque Nationale ; d'après son examen, j'ai lieu de croire que c'est celui qui a appartenu au général Dastugue. Les dernières pages sont mutilées. J'ai vu en Algérie deux manuscrits, qui s'arrêtent court précisément au point où commencent les mutilations ; ils dérivent donc de celui de la Bibliothèque Nationale (1). L'un d'eux appartenait au muphti d'Oran, Si Ali ben Abd er-Rahman ; il mérite d'être signalé pour le cas où il tomberait sous les yeux de quelque érudit : c'est un chef-d'œuvre de calligraphie ; il est fidèlement copié. Cependant le copiste, qui était un homme instruit et pieux, a cherché à rectifier des mots douteux ; il a ajouté quelques mots utiles, mais non indispensables pour l'intel-

(1) Voici une autre preuve matérielle de cette origine. Le manuscrit de la Bibliothèque Nationale a été rogné à la reliure, et un mot qui était en marge a été tronqué, de telle sorte qu'il est difficile d'en supposer la fin. Dans les deux manuscrits dont je parle, on a laissé en blanc la fin de ce mot.

ligence du texte, et un grand nombre de formules pieuses, telles que رضي الله عنه ، رحمه الله, etc. Tant qu'on n'aura pas trouvé un manuscrit donnant intégralement les parties mutilées, celui de la Bibliothèque Nationale devra être considéré comme étant la source de tous les autres.

La Cacida contient 135 vers. Un quart de ceux-ci se retrouvent sans changement dans la Cacida A ; environ la moitié s'y retrouve avec des modifications plus ou moins importantes ; le reste est entièrement nouveau. Pour les nouveaux vers, le poète ne s'est pas mis en frais d'imagination ; dans le but de donner prétexte à ses récits historiques sur l'Espagne, il aligne des noms propres dans des vers du genre de ceux-ci :

قطلان اوطننا بلنسية
مرية قبطلة يقور بطليس
لوشة بلشة يحصب بسطة
وشنترين اشترى منا بالبخس

La Catalogne, où ils nous réduisirent en servitude, puis Valence, Almeria, Cebtal (l'isla Mayor), Yacour, Badajoz.

Ils nous ont acheté à vil prix Loja, Velez, Yahcib (Alcala la Real), Baza et Santarem.

Un autre vers contient à lui seul neuf noms de villes. Ces théories de noms propres ne sont ni poétiques ni harmonieuses ; mais elles convenaient bien au but poursuivi ; elles avaient aussi l'avantage de faire naitre l'occasion d'un grand nombre de jeux de mots que l'auteur

saisissait avec empressement. La Catalogne et Santarem nous en offrent des exemples dans les deux vers ci-dessus. Le vers qu'on trouvera ci après, sous le n° 47, est consacré à jouer sur les noms de couleurs, le n° 159 à jouer sur les termes grammaticaux.

Le Commentaire est surtout consacré à l'histoire d'Espagne ; cependant on y trouve un peu de tout, depuis le schisme de Samarie jusqu'à Napoléon. Il a été composé après 1814, car la paix qui termina enfin les les luttes des Espagnols et des Français, sous l'Empire, y est mentionnée ainsi que l'expulsion de ces derniers. Il est donc postérieur à A. On y lit le passage suivant :

وقد كنت كلفت بشرحها ...... وقد بيضته في مرتيل مرسى تيطوان لما بعثني من هنالك السلطان سليمان...... ثم ثنيت عنان القلم ثانيا ...... وسميته الخبر المعرب عن الامر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب كما سميت الشرح الاول روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان

J'avais entrepris de faire un Commentaire de ce poème(1)..... *je l'avais rédigé (ou copié) à Martil*, *port de Tétouan, quand le Sultan Soleïman m'y envoya pour m'embarquer.... puis j'ai tourné la bride à ma plume pour faire un second commentaire que j'ai appelé :*

(1) Les parties représentées par des points ne contiennent que des répétitions, ou des éloges du Sultan ou de la Cacida elle-même.

« Récit explicatif des choses remarquables arrivées en Espagne et dans les places du Mag'reb », de même que j'avais nommé le premier : « Jardin de la Consolation, composé dans le port de Tétouan ».

Ce passage est clair ; il nous donne le titre du Commentaire B ; mais à le prendre au pied de la lettre, le premier Commentaire aurait été composé au Maroc, c'est à dire en 1802, sous le titre *Jardin de la Consolation*, tandis que nous en connaissons un, le Commentaire A, *Voyages extraordinaires*, qui a été composé avant 1797.

Voyons si l'autobiographie va éclaircir la question : Bou-Ras y mentionne l'incident du *Jardin de la Consolation*, composé ou copié à Martil, dans le but d'obtenir une récompense du Sultan Soleïman ; mais il ne fait à cette occasion aucune allusion à ses autres ouvrages du même genre. Plus loin, dans la liste générale de ses œuvres, les titres se succèdent, simplement séparés par la conjonction و, et comme ils se composent généralement chacun de plusieurs parties séparées par la même conjonction, il est souvent difficile de distinguer un titre du suivant. On y lit :

والنظم المسمى بكمال السندسية فيما جرى بالعدوة
الاندلسية وشرحيها الاول الفتح المعرب عن الخبر المغرب
عما وقع بالاندلس وثغور المغرب والثانى غريب الاخبار
عما كان بوهران من الاندلس مع الكفار وزهرة السلوان
المؤلفة بموسى تيطوان الخ

Et le poème intitulé « Les manteaux de soie fine, sur ce qui est arrivé dans la Péninsule Espagnole » et ses deux Commentaires, le premier : « Récit explicatif des choses surprenantes arrivées en Espagne et dans les places du Mag'reb », et le second « Histoire extraordinaire de ce qui est arrivé à Oran et en Espagne avec les Infidèles », et le « Jardin de la Consolation, composé dans le port de Tétouan », etc.

Ainsi Bou-Ras annonce deux Commentaires et il donne trois titres, en sorte que, si nous ne savions pas que le troisième titre, *Jardin de la Consolation*, est aussi celui d'un Commentaire, nous croirions que c'est un ouvrage tout différent qui vient à son rang dans la nomenclature générale. Remarquons aussi qu'aucun des deux premiers titres donnés n'est identique à un de ceux que nous connaissons déjà. Mais ces différences n'ont pas de quoi nous étonner sous la plume d'un auteur arabe, et de Bou-Ras moins que de tout autre. Dans le premier titre on reconnait celui de B, et dans le second celui de A ; seulement, par une de ses inadvertances habituelles, l'auteur les met dans l'ordre inverse de l'ordre chronologique. Je ne vois qu'une explication qui rende assez bien compte de ces anomalies.

Bou-Ras compose d'abord un premier Commentaire A, *Voyages extraordinaires*, qui est celui de M. Arnaud. Il l'écrit du vivant du Bey Mohammed, sans doute avec l'espoir d'une récompense. Cependant peut-être eût-il une déception de ce côté, car je ne le vois nulle part vanter la générosité du Bey Mohammed, comme il le fait pour celle du Sultan Soleimân. Plus tard, en 1801 et 1802, il se rend à Fès, où il fait hommage de plusieurs

ouvrages au Sultan. Au moment du départ, retenu à Martil par les vents contraires, il songe à mettre encore à profit la générosité du Sultan ; à cet effet il recopie (بيض) ce Commentaire A, qui lui avait peut-être valu une déception ; mais il en change le titre et l'appelle *Jardin de la Consolation*, ce qui a le double avantage d'avoir un air d'actualité et d'appeler par la rime en ان les noms de Sultan et de Solêïmân. D'après ce que nous savons de ses habitudes de travail, il est permis de croire qu'il remania son Commentaire et quelques vers de sa Caċida, de manière à y introduire à l'adresse du Sultan quelques uns de ces éloges hyperboliques dont il est si prodigue dans l'autobiographie. Il aurait été bien difficile de composer un ouvrage entièrement nouveau, car il fallait se hâter pour que la récompense espérée eût le temps d'arriver avant le départ du navire. Elle arriva en effet. L'ouvrage envoyé à Fès s'y trouve probablement encore dans quelque bibliothèque.

Plusieurs années plus tard, après 1814, Bou-Ras voulant mettre à profit ses connaissances sur l'histoire d'Espagne, remanie sa Caċida par le procédé indiqué plus haut, et lui adjoint le Commentaire B, qui est le second. Il y mentionne dans la phrase citée ci-dessus le Commentaire A, en l'appelant seulement par ce titre, *Jardin de la Consolation*, qui lui rappelait un souvenir agréable.

Enfin, dans l'autobiographie écrite après 1818, il donne dans leur intégralité les titres de ses ouvrages historiques, afin d'indiquer à quelle partie de l'histoire se rapporte chacun d'eux. C'est ainsi qu'il donne les titres complets des Commentaires A et B ; seulement il le fait par à peu près, et dans l'ordre inverse de l'ordre

chronologique ; c'était là le moindre de ses soucis : puis, se rappelant que le Commentaire A s'appelait aussi *Jardin de la Consolation, etc.*, il mentionne également ce titre pittoresque qui lui rappelait le souvenir agréable du port de Tétouân. Le و qui sépare ce titre de غريب الاخبار الخ doit être compris dans ce sens que le Commentaire A portait ces deux titres. C'est ainsi qu'après avoir annoncé deux Commentaires, l'auteur donne trois titres.

C — Enfin il existe un troisième Commentaire, que je connais par une copie moderne appartenant à M. Delphin. Une note placée à la fin annonce que le manuscrit a été copié sur un autre, lequel avait été directement copié sur l'original, et que l'original, de la *noble* main de Bou-Ras, ne portait pas de date, suivant l'habitude invariable de l'auteur.

Je n'ai donc eu qu'un texte de troisième main. Le titre est :

عجائب الاخبار ولطائف الاسفار
فيما جرى بوهران والاندلس للمسلمين مع الكفار

Récits extraordinaires et voyages agréables, au sujet de ce qui est arrivé aux Musulmans de la part des Infidèles, à Oran et en Espagne.

C'est un composé des titres de A et B, et, en effet, cet ouvrage est un composé des deux premiers.

La Cacida comprend 181 vers ; sur ce nombre :

19 se retrouvent identiques dans A et dans B.			
9	—	—	A et modifiés dans B.
24	—	—	B et modifiés dans A.

20 se retrouvent identiques dans A et n'existent pas dans B			
28	—	—	B et n'existent pas dans A
13	—	modifiés dans A et dans B.	
35	.	—	A et n'existent pas dans B
25	—	—	B et n'existent pas dans A

8 sont entièrement nouveaux.

Tous les vers de la Cacida A, où l'auteur se mettait personnellement en scène, ont été supprimés. Ceux de la Cacida B ont été allégés d'un bon nombre de noms propres. Ainsi un des vers cités page VI est devenu :

لوشة بلشة وزد لها بسطمة

وشتورين اشتوى منا بالبخس

Yancib a été jeté par dessus bord. Certaines mutilations ont été adoucies ; ainsi تير abréviation de انقلتيرة l'*Angleterre*, est devenu قلتيرة. Le premier hémistiche du 41° vers de la Cacida A, cité page IV, a été ainsi modifié :

وبعد الف ومائة فى نط يب

Dans la douzième année qui suivit l'an 1100, ce qui est à la fois plus clair et plus exact. La comparaison des vers ainsi modifiés pour être rendus plus corrects ou plus élégants ne manque pas d'intérêt.

Le Commentaire est aussi emprunté aux deux premiers, surtout au second, mais il est beaucoup plus condensé. La plus grande partie des citations sur l'histoire d'Espagne est supprimée. En même temps l'auteur ajoute un peu de nouveau. Des pages entières sont copiées dans les Commentaires précédents. Ce n'est

donc pas une œuvre nouvelle, mais ce n'est pas non plus une simple copie des deux premiers ouvrages.

Il est curieux de voir ce qu'est devenue la phrase du Commentaire B, citée plus haut, page IX et relative à l'ouvrage recopié dans le port de Tétouân. On retrouve en effet cette phrase, mais ainsi transformée :

وقد كنت كلفت بشرحها . . . ثم ثنيت عنان القلم ثانيا لشرح القصيدة الاولى

Une première fois j'avais entrepris de commenter ce poème..... je tournai ensuite la bride de ma plume pour commenter une seconde fois la première Cacida.

C'est incompréhensible. Il me semble qu'on prend là l'auteur sur le fait. Étant occupé à recopier, en l'abrégeant, cette partie de son Commentaire B, il s'est engagé sans réflexion dans cette phrase, sans remarquer qu'elle ne pouvait plus s'appliquer au cas présent. Elle allait le conduire à donner une seconde fois son titre, qu'il venait précisément de donner quelques lignes plus haut. Alors il a tourné court, sans s'inquiéter de nous laisser au milieu d'une phrase devenue un rébus.

Cet ouvrage n'est pas mentionné dans l'autobiographie, soit qu'il ait été composé après celle-ci, soit que l'auteur, l'ayant considéré comme une simple fusion des deux premiers, n'ait pas jugé à propos de le citer comme une œuvre distincte.

Certains passages obscurs pourraient faire croire que ce travail de condensation n'est pas l'œuvre de Bou-Ras lui-même. On y lit des phrases telles que celle-ci : « Dans certains manuscrits, on lit *tel autre mot* ». On

s'explique difficilement cette phrase dans la bouche de l'auteur ; cependant ce n'est pas tout à fait impossible. Il se peut aussi que ce soit une remarque d'un copiste qui aura été maladroitement incorporée dans le texte : semblables méfaits ne sont que trop fréquents. Dans tous les cas, l'assertion qui termine le manuscrit et que j'ai rapportée plus haut, prouve péremptoirement que l'œuvre est bien de Bou-Ras, et a été écrite primitivement de sa *noble* main.

Les vers qui se retrouvent dans les Cacida A ou B sont marqués, suivant le cas, d'une de ces deux lettres ou de toutes les deux, majuscule quand le vers se retrouve identique, minuscule s'il est modifié. J'ai cru bon d'intercaler 19 vers des Cacida A ou B qui ont disparu de C, mais ils sont écrits en caractères italiques et sans numéro d'ordre. On connaitra ainsi la totalité de ce que la Muse a inspiré à Bou-Ras sur la prise d'Oran, soit 200 vers rimés en س, sur le mètre « basith. »

Après les vers 71, 72 et 73, qui sont communs aux Cacida B et C, j'ai cru devoir donner *in extenso* leurs analogues de la Cacida A, parce qu'avec des mots presque identiques, ils offrent un sens général très différent. En principe, pour tous les vers qui se trouvent dans la Cacida A, j'ai adopté le sens proposé par M. Arnaud, sauf quand l'auteur lui-même en a donné un sens différent dans un de ses Commentaires B ou C. On en verra un exemple curieux dans le vers 73.

C^{el} Faure-Biguet.

LES VÊTEMENTS DE SOIE FINE

au sujet d'Oran et de la Péninsule espagnole

1. — Soufflez, ô vents favorables, sur
A^1 toute la terre de Dieu ; annoncez aux êtres
b^1 muets en même temps qu'aux génies et
aux hommes,

2. — Aux extrémités de l'Orient et de
a^2 notre Occident, au nord, au midi, aux
b^2 arbres et aux plantes,

3. — Aux flots gonflés des mers et aux
A^3 habitants de leurs îles, la bonne nouvelle
B^3 de la prise d'Oran, séjour du polythéisme
et de la prostitution.

4. — Racontez-leur les malheurs passés.
A^4 Pendant longtemps Oran a plongé l'Islam
b^4 dans la perdition.

5. — Dieu nous a permis de revenir à la
A5 charge contre elle ; nous avons recouvré
b5 une dette qui était tombée dans l'oubli.

6. — Grâce à un héros qui s'est préparé
a6 à la guerre en relevant l'izar du vêtement
b6 de la victoire dont l'intrépidité formait le
rida.

7. — Il ne s'est pas inquiété des consé-
a7 quences ; il n'a consulté que le sabre et la
b7 lance aigüe.

8. — C'est le bey Mohammed Lar(1), le
B8 plus vaillant parmi ceux qui s'élèvent par
dessus les planètes et le sommet d'Orion.

9. — Lors même que l'espoir ne lui
A8 sourit pas, il n'abandonne pas son pro-
B9 jet, il en vient à bout à l'aide du sabre et
du cheval.

10. — Le chef de ces escadrons les a
conduits à la guerre sainte, désireux de se
a9 trouver face à face avec ceux qui adorent
B10 trois dieux et qui prient au son des clo-
ches.

11. — Armée immense à laquelle rien
A11 ne résiste, pour laquelle les plaines de
B11 Atlât et de Mafès seraient trop étroites(2).

(1) Lar, titre des généraux Turcs.

(2) Atlât en Arabie ; c'est là que furent tués les frères de Beihas mentionné au vers 130. — Mafès ou Memts, lieu où se livra la bataille entre Zoheir ben Queis et Coceila, non loin de Cairouân, 688.

A[10] 12. — Il a installé ses soldats dans les
B[12] faubourgs d'Oran, leur nombre dépasse
l'imagination.

13. — Ils sont tous affamés du désir de
B[13] combattre ; aucun d'eux ne connait la peur
et ne reste en arrière.

14. — L'aigle ne se mesure pas à la
B[14] taille de l'outarde qui lui sert de proie,
pas plus que le géant à celle d'un chétif
avorton.

15. — Que la victoire lui soit aisée ! Il a
a[12] rempli les environs d'Oran de ses cour-
B[15] siers rapides qui en parcourent les monta-
gnes et les plaines.

16. — Il s'y est installé en vainqueur par
A[13] l'ordre de Dieu, comme un glaive tran-
B[16] chant et menaçant, ou comme une pluie
abondante et bienfaisante.

a[14] 17. — Les Mog'raoua ont bâti Oran par
ordre de leurs maîtres, les émirs Omeya-
B[17] des d'Espagne.

18. — Khazer le Mog'raoui en jeta les
A[15] fondements dans le troisième siècle[1],
b[18] alors que leur trône était dans toute sa
puissance.

A[16] 19. — Dans la sixième année du qua-
b[19] trième siècle, les Azdadja unis aux 'Adjiça
les chassèrent de cette forteresse.

---

(1) En 290 de l'hégire (903). Comm. A.

a17 B20 20. — Puis Youçouf et 'Ali[1] chassèrent ceux-ci, comme ils les avaient déjà expulsés du territoire de Fès.

A18 b21 21. — Les Almohades vinrent ensuite ; ils grandirent et conquirent Oran au milieu du sixième siècle.

b22 22. — C'était une de leurs meilleures forteresses ; elle se révolta contre Abou-Debboûs[2] le dernier d'entre eux.

a19 b23 23. — Ensuite vint la famille des Zeyânites qui eût une longue suite de souverains ; leur pouvoir s'étendit jusqu'à Dellys.

a20 24. — A leur époque vivait celui qui fût le pôle, le savant d'Oran, Mahammed[3], cet homme si grand qu'il n'avait pas de rival.

a21 25. — Après sa mort, Mahammed fut remplacé par son disciple Ibrahim[4] qui s'éleva aussi haut que Jupiter.

---

(1) Youçouf ben Tachfîn et son fils 'Ali.

(2) Abou'l Ola Edris el-Ouatiq surnommé Abou-Debbous, dernier Almohade 1266-1269.

(3) Mahammed ben Omar le Mog'râoui surnommé el Haouâri, savant, poète et thaumaturge d'Oran où il est enterré ; mort en 843 (1439) ; cité par Ahmed-baba. Comm. B et C.

(4) Abou-Sâlem ou Abou-Ishaq Ibrahim ben 'Ali de Taza, élève du précédent, également poète et thaumaturge, mort en 1462. Cité par Ahmed-baba. Comm. B et C.

26. — Quand il fit le pèlerinage, il vit
a21 venir à lui les habitants de l'Orient, même
le plus reculé, comme ceux de Toûs et de
Coûmes[1].

27. — Avec une science admirable, il amena à Oran de l'eau qui fut un bienfait pour cette ville.

28. — Pendant le huitième siècle, elle
a23 fut gouvernée par le Mérinide Abou'l
b23 Hacen[2]; c'est alors que s'accomplit la soumission de Tripoli.

29. — Il construisit le Bordj el-Ahmer
A22 qui s'élève au-dessus de toutes les autres
b22 constructions, puis le second fort pour défendre les navires du port.

30. — Dans la quinzième année du
A24 dixième siècle, les Espagnols, gens du
B24 polythéisme et de la turpitude fondirent sur elle.

31. — Les hordes des infidèles ont for-
A25 tifié ses flancs ; Abou-Calmoûs[3] n'a pu les
B25 repousser.

(1) Toûs et Coûmes dans le Khoraçân.

(2) Celui qui perdit la bataille du Rio-Salado.

(3) Abou-Calmoûs, dernier sultan Zeyanite de Tlemcen ; cette ville lui fut enlevée par les Turcs ; il en vint à appeler le secours des Chrétiens contre les Turcs : « cette inspiration du démon ne lui servit à rien. » Comm. C. — Il s'agit donc de Zeyân (1543 à 1550) qui se réfugia en effet à Oran après sa chûte ; mais il avait commencé par être l'allié des Turcs contre les Espagnols. C'est ce qui explique le vers.

32. — Le Duc[1] a ravagé ses deux plai-
a[26] nes, lançant ses troupes sur les croyants,
b[26] sans s'inquiéter de nos héros.

33. — Quand il répandit[2] ses troupes
a[27] autour de la ville, les environs tremblè-
B[27] rent. L'élévation de ses monuments s'est
changée en un triste abaissement.

34. — Leurs pourceaux et leurs croix
b[28] remplirent la ville qui auparavant était le
séjour de la foi.

35. — Combien de fois n'y avait-on pas
B[28] lu des versets bien authentiques ! Après
avoir été pure, Oran est devenue immonde.

36. — On eût dit qu'elle n'avait jamais
A[29] possédé de ces astres brillants que le
B[30] public a oubliés depuis, ni de gens distin-
gués et intelligents.

C'est semblable à ce que fit Théophile[3] à
B[31] *l'égard de Malatia. Il en fut puni par l'abais-*
sement, la honte et l'avilissement.

---

(1) D'après l'examen du Commentaire, je ne crois pas que ce titre, qui reparaît plus loin, s'applique à un général Espagnol en particulier. C'était le Capitaine Général. Le Comm. C dit qu'on l'appelait aussi Marquis.

(2) Je ne crois pas que احاط doive se traduire ici par assiéger. L'ensemble du texte montre qu'il ne s'agit pas du siège d'Oran par les Espagnols, mais de l'époque qui suivit leur entrée dans la ville.

(3) D'après la date donnée dans le Comm. B, on voit qu'il s'agit ici de l'Empereur Théophile (829-842). Bou-Ras écrit Noël, probablement par suite de l'oubli d'un point diacritique dans l'auteur qu'il a copié. — Malatia autrefois Mélitène sur le Karasou affluent de l'Euphrate.

37. — Ce Duc a eu le champ libre ; ses
a29 mains se sont étendues pour saisir ce que
B32 ses pieds n'auraient même pas osé atteindre.

38. — Après nous, il remplit la ville de
B33 la lie de Malaga, d'êtres aussi vils que l'âne et le bouc.

39. — Ses successeurs ont eu la même
a30 conduite ; tous ont imité les rois d'Aragon
B34 et de France.

40. Quand ils prirent la Sardaigne,
B35 Dénia, Palerme, Mazzara (dans) l'île de Galien[1].

41. — La Catalogne[2], Carthagène, puis
a31 Valence, Almeria où régna Motacim[3] et
b36 Badajoz,

---

(1) Le premier hémistiche s'applique aux victoires de D. Jayme le conquistador. Dans le Comm. B, Sardenia et Denia signifiaient les deux grandes Baléares conquises par D. Jayme. Dans le Comm. C, Bon-Bas revient à des notions plus exactes : Sardenia est la Sardaigne, et Denia désigne Mayorque ; c'est cette dernière seule dont il attribue la prise au roi d'Aragon. Le 2e hémistiche s'applique à la Sicile : le premier mot désigne Palerme ; les commentaires ne laissent aucun doute à cet égard ; mais il est toujours écrit جلم ; ce ne peut être que le résultat d'une erreur de point diacritique, et de la détestable manière Africaine d'écrire le ڧ. J'ai rétabli l'orthographe arabe usuelle. — « Un jour, raconte Galien, ma rate s'était enflée et je ne pouvais arriver à la guérir, quand je vis en songe un ange qui m'ordonna de m'ouvrir la veine située entre l'annulaire et le petit doigt. » Comm. B.

(2) قطلن pour قطلان Catalogne, Comm. B.

(3) Mohammed ben Man el Motacim, roi d'Almeria.

42. — Loja, Velez ainsi que Baza et San-
b37 tarem, nous ont été achetés à vil prix.

Ibiça s'est desséchée ; sa douceur s'est
B38 changée en rudesse ; les infidèles en ont fait
disparaître toute l'aménité.

43. — Nous avons quitté Ibiça ainsi que Mayorque ; plût à Dieu que Yahia[1] fut venu de Gabès dans ces deux villes.

Pechina et Guadalajara ne pourraient plus
B40 recevoir la R'assâniya[2] qui était aussi
savante que Ibn As.

44. — Don Ramire le mauvais s'empara
a32 de Tarifa[3] dont ni el-Aftas ni son fils ne
b41 furent longtemps les maîtres.

45. — Malheur sur Séville la belle et sur
b42 Cordoue ! Leurs antiques qualités ont dis-
paru.

---

mort en 1091, quelques jours avant la prise de cette ville par les Almoravides.

(1) Yahia ben R'aniya venu en 1185 avec son frère 'Ali de Mayorque en Afrique où il joua un rôle important jusque vers 1227.

(2) Hafça bent Hamdoûn, surnommée la R'assâniya, poétesse née à Pechina, tirant son nom de la tribu Yéménite de R'assân. — Ibn As, savant espagnol. Comm. B.

(3) Tarifa fut prise par Sancho IV roi de Castille en 1292. Ce vers diffère très peu du vers 32 de la cacida A. Dans la cacida B, il avait été ainsi modifié : « Tarifa et Ruta d'Ibn Bout ont été enlevées par les infidèles, de même qu'ils ont enlevé Badajoz aux Beni Aftas ». Cela était plus exact, puisque Tarifa n'a jamais appartenu aux Beni Aftas. On ne s'explique pas pourquoi Bou-Ras est revenu à son premier vers.

B45 *Câcem*[1] *n'a-t-il donc pas chanté la Roçafa de Cordoue, augmentant ainsi dans les âmes le regret de la splendeur passée.*

b46 46. — Baeza, *Comares,* Ubeda, Tortose, Lisbonne, Fraga, Carmona et Cadiz,

B45 *Sidonia, « Medrour », « Bachania », Porcuna, « Crites*[2] *» cette fleur de la religion sont aujourd'hui bien loin de nous.*

b46 47. — Algeziras, l'Alhambra, Cora et Ocbana, Gibraltar qui est aujourd'hui aux mains des Anglais,

b47 48. — Guadix et le Guadalquivir[3] ont été affligés par la mort et la captivité, ainsi que Chaster et Anvers[4].

B48 *Combien vous avez mal agi, ô « Tekhares » et « Batarzadj » ainsi que le cercle d' « Achkounia » et « Bedjanes*[5].

---

(1) Câcem ibn Abbâd er-Riahi, poète Cordouan qui composa des vers sur les ruines de la Roçafa. Comm. B.

(2) Ce nom est écrit قريطشي dans le Nefh el-Tib de Maccari. Comm. B. Il désigne une ville d'Espagne et non l'île de Crète, comme on pourrait le supposer.

(3) لوك ou لكك désigne habituellement le Lekk ou Guadalete. Ici il désigne le fleuve de Séville, c'est-à-dire le Guadalquivir. Comm. B. Bou-Ras n'est pas responsable de cette confusion qui avait été faite avant lui par Razzâzi, comme on peut le voir dans le Comm. A.

(4) Anvers, capitale des Flamands. Bou-Ras reconnaît qu'elle n'a jamais appartenu aux musulmans; mais il a entendu dire qu'ils y percevaient jadis quelques tributs. « Dieu est le plus savant. » Comm. C.

(5) Batarzadj était dans la province de Campo de Calatrava. Achkounia était entre Silves et Lisbonne; Bedja-

49. — Ibn Mâlik a quitté son Jaen ; 'Ali
B49 en a fait de même, ainsi que le grammairien de Séville[1].

50. — O douleur ! Où est ce royaume des
b51 Beni A'bbâd qui croyaient ne jamais disparaître ?

Où est la postérité de Zeïdoûn et celle de Macis qui appartenait aux Beni 'Abbâd ? Où
B52 *est la postérité d''Ammar qui était l'égal d'Abou-Nowâs*[2].

51. — Nous avions cependant vaincu à Arcos, à Zelâca et dans bien d'autres
b50 endroits ; mais nous tombâmes ensuite dans l'avilissement.

52. — Depuis que Yoûçouf et Ya'coub[3] ont disparu, les hordes des Galiciens et des autres nations se sont enhardies contre nous.

---

nes dans le gouvernement de Guadix. Ces villes ont mal agi parce qu'elles ont été tièdes dans la guerre sainte. Comm. B.

(1) Mohammed ben 'Abdallah ben Mâlik, auteur de l'Alfiya. — Abou'l Hacen 'Ali ben Moumen ben Mohammed Asfour de Séville, grammairien, élève de Chaloubîn. Comm. C.

(2) Abou Bekr ben Zeïdoûn, Ibn 'Ammar el-Mahri el-Andalouçi et Hacen el-Macis, poètes de la cour de Motamid, dernier roi de Séville. Comm. B.

(3) On pourrait dire les deux Ya'coûb, car ce vers pourrait s'appliquer à l'Almohade Ya'coûb el-Mançour et au Merinide Ya'coub ben 'Abd el-Haqq. Comm. C. Dans la cacida B, ce mot est au duel. اليعقوبان

« Remima » et « Bertania », puis Anija,
B54 *Yahçib (Alcalà la real) et Barbastro qui a été aux mains des troupes de Guillaume*[1].

53. — Le bras du Galicien qui autrefois
B55 était emprisonné, s'est étendu frauduleusement jusqu'à Trujillo et *Djalmania*.

54. — Hélas ! Qui me donnera une de ces campagnes qui dissipent le chagrin,
b56 comme celles de En-Nasri, de En-Nâcer ou du Merinide[2].

Saladin a débarrassé la religion des obsta-
B57 *cles qui la gênaient ; Noureddin a été un objet de terreur suspendu au cou des Francs.*

55. — Nos souverains ne se sont plus occupés que de dépêcher leurs affaires ;
b58 ils nous ont dévoré comme l'animal à l'écurie dévore le grain.

56. — Ils se sont tous détournés de la
B59 guerre sainte contre l'infidèle ; c'est au

---

(1) Remina, village du gouvernement de Grenade. — On peut voir dans les recherches de Dozy que الرمليمين est une corruption de الرمانيين les Normands ; mais ce nom a fini par être pris pour celui de Guillaume de Montreuil, chef de la sanguinaire expédition de Barbastro. C'est dans ce sens que l'emploie Ben-Ras.

(2) Ismaïl ben Faradj, roi Nasride de Grenade 1314 à 1315. — 'Abd er-Rahmân III en-Nâcer Khalife Omeyade 912 à 961. — Quant au Merinide, c'est Yacoûb ben 'Abd el-Haqq, 1258-1286. Comm. C.

point que notre grande Egypte a été précipitée dans l'adversité[1].

57. — Plût à Dieu que nous eussions une armée comme celle de l'Abedite[2] ! Innombrable ! Mieux vaudrait compter un tas de lentilles !

B60 *Où est la foi qui délivra de l'impiété notre Ouafdjar[3], Orihuela, Arjona et Beja d'Espagne?*

58. — La Péninsule Espagnole vivait
B61 dans la foi; mais, avec la rapidité de l'éclair, elle est retournée à la plus horrible turpitude.

59. — Le vent de la victoire n'a plus
B62 soufflé dans ses plaines quand la discorde a régné entre ses princes.

60. — Pendant des années ils ont été en
au B63 rivalité. C'est pour cela que les rois Chrétiens d'Espagne se sont enhardis.

61. — La mort du fils d'Abou-Zeid[4], de
B64 son émule et du héros de la famille d''Amir[5] les ont rendus audacieux comme des putois.

(1) Allusion à la campagne de Bonaparte en Egypte. Comm. B.

(2) L'Almohade 'Abd el-Moumen qui était originaire des Beni 'Abed, fraction des Koûmia, tribu des Trâra.

(3) Ouafdjar, ville de la province de Grenade. Comm. B.

(4) L'Omeyade Mohammed I, fils de Abou-Zeid 'Abd er-Rahmân II, fils de Hakam I. Ce fut lui qui gagna la bataille du Guadacelete.

(5) Le célèbre el-Mançour ben Abi 'Amir.

62. — Oh ! Combien ont souffert dans ce
A31 pays les signes de la foi ! Ce temps a été
b65 comme le sommeil troublé par un cauchemar.

63. — Ils nous ont pris Ronda et Malle(1),
b66 ces idolâtres chétifs, méchants et méprisables.

64. — Zâhira, Zahra, Merida(2), Sara-
B67 gosse, *Castalia* (ou Castille(3)), Calatrava ont perdu toute valeur.

65. — Alfonse a anéanti Todmir ; quant à Murcie elle a éprouvé de la part des
b68 Français(4) tout ce qu'on peut attendre de gens dignes de réprobation.

Sidonia a causé à la foi un violent saisis-
B69 *sement ; « Calalès », Uclès, Huesca et Elvira sont dans l'ordure.*

66. — Tolède fut la première de leurs
B70 conquêtes. De el-Haouâri elle est revenue à Alfonse(5).

(1) Cet hémistiche est incomplet ; il faudrait probablement lire : Ils nous ont pris Ronda Niebla et Malle. Voir la note du texte.

(2) Merida dans le vers et Lerida dans le Commentaire. Bou-Ras confondait ces deux villes. Comm. C.

(3) Bou-Ras croyait comme beaucoup d'auteurs Arabes, que la Castille avait pour capitale une ville portant le même nom.

(4) Littéralement, les Parisiens. Allusion aux guerres des Français sous Napoléon. Comm. C.

(5) Yahia ben Di'n Noûn surnommé Nâcer ed-Doula, à qui Tolède fut enlevé par Alphonse VI en 1085.

67. — La dernière fut Grenade ; des
B71,72 malheurs et des désastres semblables à ceux de Júcar fondirent sur elle.

68. — Le roi Chrétien y jeta un regard
B73 dédaigneux sur les Nasrites jadis si puissants et sur Mouaq(1) l'honneur de la ville.

Pélage nous a accablés de calamités auxquelles aucune autre ne peut être comparée ;
B74 *Narbonne, Pampelune, le château de Pélage sont aujourd'hui muets.*

69. — De quels malheurs le pays de el-
B75 'Ocab n'a-t-il pas été cause pour nous ! Il a ruiné les affaires de l'Espagne(2).

70. — Tarifa leur a apporté un beau présent qui est pour nous une source
B76 d'humiliations et qui nous fait désespérer de reprendre la Péninsule.

71. — N'avons-nous pas été les maîtres
234 à Soheil(3) et à la Sahla, grâce à l'arrivée
B77 d'une beauté aux lèvres purpurines.

Oran n'a-t-il pas été à nous avec ses eaux
A34 *limpides, alors que les lèvres purpurines y excitaient l'admiration ?*

---

(1) Mohammed ben Ahmed el-Abbari, surnommé el-Mouaq, savant de Grenade.

(2) La bataille de las Navas de Tolosa.

(3) Comme on le voit, les vers 71, 72, 73 se retrouvent avec de curieuses variantes dans la cacida A. Dans celle-ci, ils s'appliquaient à Oran ; l'Oued Ibn el-Kheir est le ruisseau d'Oran. Comm. A. Dans les cacida B et C, le poète conserve la plupart des mots de ces vers, mais les

336
B78 72. — N'avons-nous pas, grâce à Salma, régné pendant longtemps, sans conteste, sur Jâtiva ?

A35 *N'avons-nous point reçu les faveurs de Salma, l'objet de notre amour, sur les bords du chemin de Kadima.*

336
B79 73. — N'avons-nous pas, sur les bords de l'Oued Jerez, versé le contenu des jarres dont on enterre le pied pour les conserver ?

A36 *N'avons-nous pas, sur les bords de l'Oued ben el-Kheir, versé le contenu des jarres qu'on enterre par le pied pour les conserver?*

B80 74. — N'a-t-elle donc élevé la voix que dans l'assemblée des Fechtala[1] comme si les yeux de cette beauté (l'Espagne) étaient alanguis par le sommeil.

B81 75. — Une montagne s'est élevée entre nous et notre Péninsule ; les portes de la

---

applique à l'Espagne. Je crois qu'on doit les entendre ainsi : le poète entre dans la série banale des comparaisons avec le vin et les beautés de la femme, images symboliques de l'amour de Dieu et du Prophète. Il admirait vivement ce genre de comparaisons. Dès lors, l'arrivée d'une beauté aux lèvres purpurines, signifierait l'introduction de l'islamisme ; les réunions de buveurs de Carcassonne représenteraient les réunions de pieux docteurs de la loi.

Soheïl, village de la province de Malaga, patrie d'Abou'l Câcem 'Abd er-Rahman ben el-Khatib es-Soheïli, Comm. B et C. — La Sahla, province d'Albarracin.

(1) Les Fechtala, tribu Çanhadjite.

guerre sainte ont été fermées à jamais pour nous.

B81 76. — N'a-t-on pas compté dans nos villes de Belefique et d'Andarax des hommes éminents dans l'enseignement du culte du Dieu unique ?

B82 *N'avons-nous pas, à Carcassonne, tenu des assemblées où nos jeunes serviteurs faisaient circuler les coupes ?*

B83 *'Omar(1) n'a-t-il pas enseigné à Salobreña, où la science de la grammaire a été complètement effacée ?*

B84 *Les Infidèles nous ont enlevé Castille, Silves et Zamora la prostituée.*

B86 77. — L'Espagne n'a-t-elle pas été enveloppée dans notre puissance ? Avons-nous craint l'Angleterre et les Flamands ? (Litt. Anvers).

B87 *Demandez à Purchena ce qu'il est advenu de « Barcos ». Voilà les héros de Fiñana qui sont tombés dans l'abaissement.*

B88 78. — Maintenant voici qu'ils occupent sur nos rivages Ceuta, Melilla, Nakour et Bâdis(1).

---

(1) Abou 'Ali 'Omar, surnommé Chiloubîn, le grand grammairien de Salobreña.

(1) Bâdis, Peñon de la Gomera (des R'omara).

79. — A l'exception de ces quatre places,
B89 toutes les autres conquêtes qu'ils avaient faites sur nous, telles que Agadir et les ports qui l'entourent,

80. — furent reprises en totalité par
B90 Mohammed et par son fils[1] qui purifièrent le Soûs de ces infidèles.

81. — Dom Sebastien a été humilié à
B91 l'Oued Mekhâzi ; Abou Merouân[2] lui a fait goûter le trépas.

82. — Arich et Tanger, Mehdia et Bridja
B92 ont été arrachées aux Portugais

83. — par les armes d'Ismaïl[3], puis par
B93 celles de son petit-fils ; mais la lumière du soleil s'est éclipsée à Ceuta.

84. — Dieu a mis Alger au pouvoir des
B94 Turcs afin qu'ils combattent Oran, séjour du polythéisme et de la trahison.

Le pacha, fils de Kheir ed-Din l'a attaqué
B95 *le premier ; il a mis en perdition le fort qui défend son port*[4].

---

(1) Abou 'Abdallah Mohammed el-Qâïm bi Amr Illah et son fils Abou'l 'Abbâs Ahmed el-'Aradj, premiers cherifs Saadiens 1512 à 1553.

(2) Abou Merouân 'Abd el-Malik ben Mohammed, sultan Saadien 1576 à 1578.

(3) Mouley Abou Naçer Ismaïl ben Mouley Cherif, sultan Haçanide 1672 à 1727.

(4) Exagération poétique, puisque Haçen ben Kheir ed-Din échoua devant Mers-el-Kebir en 1563. Cependant il s'empara du fort de San-Miguel, qui dominait le fort principal.

B36 **85. — Le pacha Ibrahim**[1] **vint l'attaquer au milieu du onzième siècle.**

86. — Il s'installa quelque temps sur
b37 **l'Almeïda en inquiétant la ville, puis il revint sur ses pas à cause de la difficulté de l'entreprise.**

87. — A la fin du même siècle, Chabân
a38 **le Zenagui l'assiégea**[2], **mais elle résista,**
b38 **Dieu sait avec quelle énergie.**

88. — L'armée nombreuse des musul-
a39 **mans foula cette terre et fit couler les lar-**
B39 **mes des habitants sans aucune exception.**

89. — Des combats terribles se livrèrent
A40 **entre eux et se terminèrent par la mort de**
B40 **ce martyr.**

90. — Dans la douzième année qui suivit
a41 **l'an 1100 (1700-1), Ismaïl**[3] **réunit contre**
B41 **Oran les contingents des parties les plus reculées du Soûs.**

---

(1) Ce fut le premier, dit Bou-Ras, qui amena de l'artillerie sur l'Almeïda. Il y eut à Alger un pacha, Ibrahim, entre 1655 et 1658, ce qui correspond à peu près au milieu du XI[e] siècle de l'hégire. Je n'ai trouvé nulle part trace de son expédition contre Oran, qui est cependant mentionnée dans les trois commentaires.

(2) Chabân, bey de Mazoûna, tué devant Oran en 1688.

(3) Mouley Ismaïl déjà nommé, (vers 83). Bou-Ras fait ici confusion de dates. L'expédition de 1700-1, dans la province d'Oran, eut lieu contre les Turcs. Celle contre les Espagnols avait eu lieu en 1693.

91. — Les habitants de Temesna, ceux
B102 des bords de la Moulouya, d'Oudjda, les
Ma'quel et les Beni Yznacen.

92. — Il installa son matériel autour de
A42 la ville pour en pousser vigoureusement le
B103 siège ; mais il ne put trouver le moyen de
la réduire.

93. — Il s'installa quelque temps sur
Heidour en employant toutes sortes de
A43 stratagèmes ; il appela à son aide tout ce
B104 qui se trouvait à l'entour sur le territoire
des Makhis[1].

94. — Mais l'astuce des défenseurs et la
A44 force de la place lassèrent sa valeur ; tel
B105 l'aigle des airs qui se défend par son élé-
vation.

95. — Il dit alors : C'est une vipère
A45 cachée sous un rocher ; elle peut nuire et
B106 personne ne peut lui faire de mal.

96. — Les Chrétiens l'entourèrent de gardes attentifs ; ils entendaient le moindre bruit de quiconque s'approchait, comme si c'eût été un bruit violent.

97. — Quand Dieu eût résolu de rame-
A46 ner la foi à Oran, il suscita à Alger la
B107 lumière qui devait chasser les ténèbres.

---

(1) C'est-à-dire sur le territoire à l'ouest d'Oran qui avait été occupé autrefois par la tribu Hilalienne des Makhis. Comm. A.

98. — Mohammed Bakdach, le plus bril-
a147 lant des pachas de cette ville, qui s'est
b105 élevé au-dessus de ses pareils par son
intelligence et sa bravoure.

99. — Il équipa une flotte montée par
B109 les Turcs qui débarquèrent à l'est d'Oran
sur son territoire desséché[1].

100. — Il nous amena par ce chemin des
a148 canons et des mortiers, remplissant ainsi
B110 les infidèles d'inquiétude.

101. — Ozen Hacen n'a pas cessé d'atta
a149 quer la ville, de même que le vigoureux et
B111 intrépide Mostafa à la forte moustache[2].

102. — La ville fut prise de vive force en
A50 l'an 19 (1708), après un séjour des infidèles
B112 de 205 ans, pendant lesquels la religion
fut abaissée.

103. — Après que la trahison et le
malheur se fussent succédé, la Sounna que
B113 notre Seigneur avait imposée à la tribu
de Djâdis fut rétablie.

104. — Oran devint pour les hommes
A51 comme un pâturage sûr, alors qu'aupara-
B114 vant toutes les joies de la vie en avaient
disparu.

---

(1) A. Arzew.

(2) Bou-Ras substitué à Bou-Chlâr'em, surnom habituel de ce Bey, son synonyme فايق pour la mesure du vers.

105. — Après avoir trébuché jadis, les
a52 pieds de l'islamisme se fixèrent à cette
B115 ville comme à un but assigné vers lequel
il s'était élancé comme un cheval dans la
carrière.

106. — C'est là l'ordre de Dieu ; c'est
A53 ainsi qu'il en avait décidé ; s'il avait voulu,
b116 ils ne l'auraient pas possédée un dixième
de seconde.

A54 107. — Après dix années, puis dix autres
B117 et puis quatre, ils revinrent à cette ville
qui est la consolation des malheureux.

A55 108. — Ils s'en emparèrent après de faibles
B118 combats ; la première fois ils l'avaient
eûe par une trahison insigne.

109. — La seconde fois, ils l'ont achetée
a56 pour bien peu de chose. Comment une
b119 ville comme Oran peut-elle se vendre à
vil prix ?

110. — Deux fois ils y sont venus et l'ont
trouvée bien pourvue ; la promesse qui
b120 leur en a été faite n'a pas été longue à se
réaliser.

111. — Ils ont été libres d'y vivre et d'y
A57 agir à l'aise ; elle était parée pour les
B121 Chrétiens comme une mariée pour son
époux.

112. — Quel triste sort pour cette place
a58 livrée en pâture à l'infortune ; sa puissance
s'est misérablement écroulée.

113. — Cette ville était le séjour de la science et de la foi ; le vol et le pillage se sont abattus sur elle comme ils avaient fait pour Calatrava[1].

114. — Les réunions funèbres de toutes
359 nos femmes resplendissantes par leur
B121 beauté et leur parure devinrent pour l'ennemi comme des fêtes nuptiales.

115. — Les Chrétiens se sont partagé (puissent-ils ne pas les garder long-
360 temps ![2]) les perles précieuses de nos
B122 trésors préservés avec soin de tous les regards (nos femmes).

116. — Il y avait des jardins sur lesquels l'œil aimait à se reposer ; l'ancienne splen-
361 deur de leurs arbres contraste avec leur désolation actuelle.

117. — Un chef Chrétien désigné par les décrets de Dieu en détruisit les splen-
362 deurs ; il passa bien des nuits dans l'insomnie en multipliant ses recherches.

118. — Depuis qu'il lui a fait la guerre, il s'est constamment occupé de la détruire ; il ne s'est pas laissé amollir par la paresse ou le sommeil.

---

(1) حصن رباح en Espagne. Comm. C. Il est probable qu'il s'agit de Calatrava appelé ordinairement قلعة رباح

(2) Au moment où Bou-Ras écrivait, les Chrétiens ne possédaient plus Oran ; on ne s'explique donc pas pourquoi il forme ce souhait. Mais le Comm. C ne laisse aucun doute sur le sens.

119. — Oran a passé successivement de
B[124] nos mains à celles de l'ennemi. Chaque fois qu'elle nous promettait quelque chose, c'est l'inverse qui arrivait.

A[63] 120. — Enfin, dans sa mansuétude, Dieu
B[125] nous la ramena, après un temps aussi long que l'âge d'une vieille fille(1).

121. — Quand celui qui est notre appui
a[64] fut en possession du Mag'reb central, le
B[126] soleil brilla, succédant aux épaisses ténèbres.

122. — C'est un prince dont les souve-
a[65] rains imitent la conduite ; pour la religion et pour les choses de ce monde, on admire son gouvernement.

123. — C'est un roi victorieux ; s'il lan-
a[66] çait un trait contre une étoile, il l'attein-
B[127] drait ; s'il appelait le mont Dabil, celui-ci répondrait avec empressement à l'appel(2).

124. — C'est un héros magnanime ; ses
A[67] vêtements sont l'énergie et la victoire ; son naturel est la douceur.

125. — Son royaume comprend celui des
a[68] Beni Mendil, qui s'étendit autrefois de l'Oued Oued Djer(3) jusqu'à Ténès.

---

(1) Après 60 ans, dit un des Commentaires.

(2) Vers copié presque littéralement sur un vers d'Ibn el-Abbar, cité dans le Comm. C.

(3) L'Oued Oued Djer est dans la Mitidja.

126. — Le royaume de Todjin est aussi
A69 sous son pouvoir, ainsi que l'antique Tlemcen aux solides fondations.

127. — siège de la splendeur du trône
A70 de la famille de Yar'moràcen, ainsi que du royaume des fiers fils de l'Yfrinite Yala.

128. — Son autorité s'étendit au-delà du
A71 pays de Cha'nb et de Moçab[1], à plusieurs journées de marche au delà d'Abou Deres.

129. — Il fit goûter l'indulgence et la
A72 paix à toutes les tribus qui virent ainsi succéder la sécurité à la ruine.

130. — Mohammed ben Otmân, l'étoile
A73 de leur félicité, les mit à l'abri des souillures et des affronts[2].

131. — Pendant treize années de son
A74 gouvernement, il fit pleuvoir sur les habitants d'Oran le malheur et la perdition.

132. — Il garnit de cavaliers, de fantas-
A75 sins et d'un cordon de postes tous les lieux où ils pouvaient passer.

133. — Des tolba combattirent vigoureusement et firent du mal aux Chrétiens ;
A76 on ne doit pas les mesurer à la taille de Queïs ni de Beïhas[3].

(1) Les Cha'nba et le Mzab.

(2) En 1785, le bey Mohammed avait fait une brillante expédition jusque dans le sud de la province d'Alger.

(3) Queïs ben Zoheir et Beïhas. Ce dernier était un Arabe célèbre par la vengeance qu'il tira du meurtre de ses frères.

134. — Ils firent revivre les traces dis-
a76 parues de leurs professeurs Ahmed, Mohammed et Ibn Yoûnes(1).

135. — En l'an 5 (1205-1791), une armée
A77 immense composée d'hommes énergiques et intrépides arriva sous ses murs avec son matériel.

136. — Le bey entoura la ville de batte-
a78 ries et de mortiers ; elle était au milieu d'eux comme un cercle de curieux.

137. — Peu s'en fallut que ses canons écrasassent ces montagnes ; c'était le rou-
a79 lement continu du tonnerre dans un nuage fulgurant.

138. — Tout ce qui est périssable finit ; mais les combats ne finissent pas pour
B128 lui ; on dirait qu'il dédaigne les vicissitudes du temps.

139. — La tête du corbeau blanchit
A80 d'effroi à la vue de ses combats ; mais le
B129 jour toujours obscurci (par la poudre) ne blanchit pas.

(1) Abou'l 'Abbas Ahmed ben Tâbet, cheikh de Tlemcen, mort en 1615. — Mohammed désignait dans le Comm. A le cheikh Mohammed ben 'Abd el-Kerim, mort au Touât, contemporain d'Ahmed Baba, et par suite du sultan Ahmed ed-Dahabi (1578–1603). Dans le Comm. C, il est devenu le célèbre marabout marocain el 'Ayachi, tué en 1641. On raconte que dans la nuit qui suivit sa mort, sa tête coupée récitait encore le Coran. — Ibn Yoûnes, originaire de Sicile, commentateur de Sidi Khelil. — Ces trois personnages étaient à la fois des savants et des guerriers.

140. — L'obscurité était telle que qui-
conque approchait voyait noircir les blan-
b130 cheurs de son visage ; ce qui avait noirci
ne redevenait plus blanc.

141. — La poussière des chevaux, la
fumée de la poudre, rappelaient la bataille
a81 de Halima et celle où Romanus(1) fut vaincu
à Kordj.

142. — Leur général était tremblant
a82 d'effroi devant les ravages du bey ; son
cœur était rempli de crainte et de colère.

Ces nouvelles volèrent dans le monde en-
A83 *tier ; nous les apprîmes à Amdoudjât(2), au-*
delà de Gabès,

à notre retour du pèlerinage. Quel bon-
A84 *heur, nous écriâmes-nous ! Pèlerinage un*
vendredi, guerre sainte ensuite.

143. — Pendant plusieurs mois la guerre
eût des chances diverses ; l'étoile du bey,
a85 en se levant, plongea l'ennemi dans le
malheur.

144. — Après des négociations, ils de-
mandèrent la paix et obtinrent l'*amân* pour
leurs biens et leurs personnes.

---

(1) Romain IV, dit Diogène, empereur d'Orient (1070), vaincu par le Seldjoukide Alp Arslan.

(2) Amdoudjât, île de la Méditerranée, Comm. A. Probablement Lampedusa.

145. — Leur séjour dans cette place avait duré 63 ans ; de toute éternité, ce laps avait été écrit sur les feuillets du destin.

146. — Ils détruisirent leurs maisons de leurs propres mains[1] ; que cela vous serve de leçon, ô hommes clairvoyants et au sens droit.

147. — Avant eux les Benou Nadir avaient agi de même, comme le dit la sourat Hacher[2] ; comment les Chrétiens peuvent-ils imiter l'action des Juifs.

148. — Ils ont abouti à la destruction complète en suivant l'exemple de ce qui était arrivé à Djerba et à Tunis.

149. — Les Chrétiens d'Oran ont laissé leur ville en ruines ; louange à Dieu qui nous a mis à l'abri des surprises[3].

---

(1) Après la reddition d'Oran, un grand incendie éclata dans la ville ; le Commandant de Santa-Cruz, croyant que c'était le résultat d'un ordre du Gouverneur pour la destruction des approvisionnements, contrairement à la capitulation, fit mettre le feu dans son fort. Le Gouverneur l'avait fait arrêter ; mais le bey Mohammed ayant connu les circonstances de cet incident, demanda et obtint la grâce de cet officier.

(2) Coran LIX, 2.

(3) Les Musulmans, en voyant l'incendie, redoutaient des explosions de mines.

150. — Grâce à Abou-Otmân et à
A93 Otmân[1] qui nous ont rendu de quoi nous consoler de la perte de l'Espagne.

151. — Dieu a lancé notre prince contre
A94 les Chrétiens, comme pourrait être lancée une flèche sans le secours d'un arc.

152. — Il avait établi autour des ennemis toutes sortes d'embûches, en employant la ruse, l'astuce, les explorateurs et les espions.

153. — Il a purifié la forteresse de leur
A95 immense souillure. Ces hommes ignobles ont été humiliés et renversés.

154. — Grâce au culte du Dieu unique, la contrée d'Oran s'est élevée sur ses coteaux purifiés du polythéisme[2].

155. — Grâce à l'homme fortuné qui n'a pas son égal, grâce à cette vaste intelligence qui me dispense d'en dire plus long.

156. — Grâce à celui qui a pris pour manteau la décision et l'audace ; quand il
A96 a appliqué le remède, aucune rechûte n'est à craindre.

157. — Il a effacé les blasphèmes écrits par les partisans de l'incarnation : il a
A97 affermi le culte du Dieu unique qui est devenu éternel comme un habous.

(1) Le bey et son fils Otmân.

(2) حيس mélange de lait caillé et de dattes. C'est ici un symbole pour représenter le polythéisme.

158. — Le Merdjadjou et les autres forts
n'ont pu préserver Oran, pas plus que ses
b131 troupes couvertes de cuirasses et de boucliers.

159. — Le Bey s'est élevé à une hauteur
d'où il peut discerner le vrai du faux : le
a97 Gouverneur d'Oran a été abaissé dans la
confusion.

160. — Il n'est pas étonnant que le Bey
A98 soit arrivé à une grandeur que personne
autre n'a atteinte, car son origine elle-même était entourée de grandeur.

161. — Parmi ses aïeux, il y avait des
A99 émirs et des chefs ; leurs racines ne se
sont jamais desséchées.

162. — Règne longtemps sur le pays dont
a100 tu es chargé ; la terre de ton bonheur est
verdoyante et tendre.

163. — Il a chassé l'avarice et la discorde ; il les a changées en générosité et
bonne harmonie.

164. — Tandis que le culte du Dieu uni-
a101 que entrait souriant et gai dans la ville,
la trinité la quittait dans la confusion.

165. — Les mécréants l'avaient telle-
A102 ment maltraitée que le regard attristé n'y
voyait plus un ami.

166. — Nos mosquées ont été relevées et
A103 les églises détruites ; notre appel à la vraie
prière a fait taire les cloches.

167. — Suivant le dire menteur de leurs
évêques, Dieu avait donné une éternelle
a104 durée à leurs écoles qui ne devaient jamais
disparaître.

168. — Le sublime islamisme a fait dis-
a105 paraître tous les emblèmes qui étaient à
Oran ; bon ou mauvais, il a tout chassé.

169. — La voilà florissante ! Ses campa-
a106 gnes sont parfumées ; ses vêtements aux
B132 riches couleurs sont teints avec le wars.

170. — Le danger caché des filets du
a107 polythéisme n'existe plus ; l'infidélité s'est
b133 enfoncée dans les profondeurs du tombeau.

171. — Le maître des mondes a rendu
a108 Oran florissante ; le flambeau de l'Islam y
B134 brille comme une flamme ardente.

172. — Après un long silence, elle a pro-
A109 clamé l'unité de Dieu ; elle n'est plus affli-
b135 gée de surdité ni de mutisme.

173. — Toute glorieuse de notre émir
a110 Mohammed, elle s'avance en s'inclinant et
balançant gracieusement ses hanches.

174. — Quant à lui, son éclat est celui
A111 d'un jour frais et pur ; à la tête de son
armée, il semble la lune entourée de son
halo[1].

---

(1) Au goût de Bou-Ras, ce vers est un des plus beaux qu'il fut possible de faire en l'honneur du bey.

175. — Ses étendards planent dans l'air comme des aigles ; autour d'eux sont les
A142 lances qui les défendent comme des flammes ardentes.

176. — Dans l'avenir, la fortune lui sou-
A143 rira toujours, de même que son étoile brillera toujours sans s'éteindre.

177. — Tout lui obéit et suit ses désirs ; le bonheur est attaché à son étendard comme la feuille de papier à la main qui écrit.

178. — Grâce à l'aide du très saint Maître
A145 (Allah), notre entrée eût lieu le lundi matin, cinquième jour de redjeb l'unique

179. — de la sixième année du treizième siècle. Louanges à notre Créateur ! Que la
A146 plus pure des bénédictions soit sur le Prophète pur de toute souillure[1].

180. — Que Gabriel l'abreuve à la source
A147 du Fardoûs, à l'aide d'un vase d'or dont le fond exhale le parfum d'un vin exquis[2].

181. — Ainsi que ses compagnons que nous ne pourrions payer, eussions-nous
A148 un volume d'or comme la colline de Ohod, ou même cinq fois plus.

---

(1) Abou-Bekr a dit que le Prophète était tellement pur que ses vêtements n'étaient jamais sales ; les mouches ne se posaient pas sur lui ; les personnes et les choses se parfumaient à son contact. Comm. C.

(2) Allusion au Coran XXXIII, 26. Comm. C.